KADHAYA TARIKHIA

قضايا تاريخية

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

الحياة الثقافية والعلمية بالجزائر في ظل مساهمة الوقف اثناء الاحتلال الفرنسي

Cultural and scientific life in Algeria in light of the Waqf's contribution during the French occupation

أ (ة) / دراجي خيرة*

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

derradji.kh@gmail.com

المجلد : 08 العدد : 02 السنة 2023 الصفحات : 41-60

تاريخ الاستلام: 2023/11/19 تاريخ القبول: 2023/12/25 تاريخ النشر: 2023/12/30

* المؤلف المرسل : أ/ دراجي خيرة

ملخص: يكتسي الوقف أهمية كبيرة في حياة المسلمين عامة والجزائريين خاصة، فقد عهدوا على وقف الأموال والعقارات على المدارس والمساجد ومراكز التعليم الموجودة والتي تزاولها نشاطها لنيل الأجر من الله تعالى، كما تنافسوا أيضا على وقف أملاكهم خوفا من ضياعها أو استيلاء السلطة عليها، وقد تنوع الوقف فلم يعد يختصر على المساجد والمنازل والمزارع والدكاكين والعيون وغيرها من أبواب الإنفاق بل تعداه إلى وقف الكتب والمخطوطات. ولأن الأموال والعقارات الموقوفة كانت كبيرة جدًا، فإن أول ما قامت به السلطات الفرنسية بعد الاحتلال قامتإلى بالاستيلاء عليها من خلال إصدار قانون 7ديسمبر 1830م، ثم تلتها قوانين أخرى بحيث أصبحت كل الأوقاف والأملاك تابعة لفرنسا أي لمصلحة الدومين (أملاك الدولة) ولها حرية التصرف فيها .

كلمات مفتاحية: الكتاتيب.، الزوايا.، الوقف.، المدارس ، المساجد

Abstract: The endowment is of great importance in the lives of Muslims in general and Algerians in particular. They have pledged to endow money and real estate to existing schools, mosques, and educational centers that are active in order to obtain reward from God Almighty. They also competed to endow their property for fear of losing it or the authority seizing it. The endowment has diversified. It is no longer limited to mosques, homes, farms, shops, springs, and other means of spending, but rather extends to endowment of books and manuscripts , because the endowed funds and properties were very large. The first thing the French authorities did after the occupation was to seize them by issuing the law of December 7, 1830 AD, then other laws followed, so that all endowments and properties became affiliated with France, that is, for the benefit of the dominion (state property) and it had freedom to dispose of it.

Keywords: Katateebs ; zawiyas ;endowments ;schools ; mosques.

مقدمة:

عرفت الجزائر نشاط تعليمي كبير من خلال المراكز التعليمية المختلفة و المنتشرة عبر التراب الوطني و التي تمثلت في الكتاتيب، والزوايا، والمدارس، والمساجد، بحيث كانت هذه المراكز تتلقى تمويلها من الوقف. ومن خلال هذا العمل سنسلط الضوء على دور الوقف في المجال الثقافي وذلك من خلال إتباعنا للمنهج الاستقرائي والإحصائي، للإجابة على التساؤلات التالية: ما هي أهم المراكز التعليمية التي تعتمد على الوقف؟ وما هي مصادره؟ وكيف يتم تقسيم أموال الوقف؟ وما مصير هذه الأوقاف بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

1. أبواب الوقف في المجال الثقافي التعليمي:

1.2 المساجد:

بغض النظر عن الدور الريادي الذي يقوم به المسجد ألا وهو التعبدي، فقد كان يساهم أيضا بقسط كبير في تعليم مختلف فئات المجتمع من خلال حلقات التعليم المختلفة كل حسب اختصاصها سواء في الفقه، أو القرآن، أو الحديث، فقد عمد الناس على وقف الأموال على المساجد لدوره ولأهميته في نفوسهم، فعلى سبيل المثال الجامع الكبير للعاصمة كان به ثلاث وكلاء للأوقاف الأول منهم نائب المفتي، والثاني وكيل أوقاف المؤذنين، والثالث وكيل أوقاف الحزابين[1]، وكل وكيل مسؤول على الأموال المخصصة له وعلى كيفية صرفها.

وقد حظي المسجد الأعظم بأكبر وقف بحيث ضم 550 وقفا، شمل 125 منزلا، و39حانوتا (دكانا)، 3 أفران، و19تبانا، و107إيرادًا، بحيث قدرت الأموال الموقوفة عليه سنة 1830 ب43.222.70 فرنك، ويتصرف فيها المفتي المالكي ويساعده وكيلان، ويستفيد من هذا الوقف إمامين و19مدرسا، و18مؤذنا، و8حزابين، و13قيما[2]، ويشترط واقف هذه الأموال كيفية توزيعها مثلا: ريال واحد يعطى لإمام المسجد مقابل تعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن، و يدفع لإمام أربعة ريالات في شهر رجب وشعبان ورمضان مقابل تدريسه وقراءته لصحيح البخاري[3].

كما حدد أحد الوافقين كيفية صرف أمواله على النحو التالي: نصف ريال لكل قارئ من القراء الأربعة يقرأ حزبا في الصباح وفي المساء في الجامع الأعظم، ونصف ريال آخر لمن يقرأ سورة الإخلاص جماعة في المسجد الأعظم وريال واحد يُسلم لمن يقرأ كتاب تنبيه الأنام بالمسجد الأعظم بعد زوال الظهر، وريال واحد يعطى كل شهر لمن يقرأ نفس الكتاب بمسجد القهوة، وريال واحد كل شهر لقارئ الكتاب نفسه بعد الزوال بجامع السيدة القريب من دار الإمارة ، واشترط أن يعود النظر في ذلك من بعده لأولاده وأولادهم ما تناسلوا، وبعد انقراضهم يعود ذلك لأئمة المساجد الثلاثة إلى أن يرث الأرض ومن عليها[4].

وبعد إصدار فرنسا لقرار 12 /07 / 1830م[5] القاضي بالاستيلاء على أملاك الوقف، قامت فرنسا بوضع يدها على 11وقفا تابعا للمسجد الأعظم بغرض تنظيم هذه الأوقاف وحسن استغلالها، لكن الغرض الرئيسي هو الحد من سبل الإنفاق على المدارس، والقضاء على الإسلام ونشر المسيحية من جهة أخرى.

2.2 الكتاتيب:

كانت منتشرة في جميع المناطق من التراب الوطني، لأنها تمثل القاعدة الأساسية للتعليم الابتدائي والتحضيري يتعلمون فيها القراءة والكتابة، ويحفظون فيها قصار السور ويتعلمون بها أصول الدين[6]، والمتون الفقهية والشرعية واللغوية كألفية ابن مالك، وكانت تسمى في الأرياف بالشريعة لأنها تدرس الشريعة الإسلامية[7]، وقد ذكر يحي بوعزيز في كتابه أنها أنشأت لتُجنِب المساجد الضوضاء والفوضى التي يحُدثها الأطفال في المساجد[8]، وفعلاً قللت الضغط التي تعاني منه المساجد لتتوجه لأعمال أخرى، وتنشأ منفردة أو في شكل بيوت وفي بعض الأحيان يقوم أحد السكان بفتح غرفة له على الشارع لتعليم الأطفال، بحيث نجد في الحي الواحد عدة كتاتيب متفرقة، فقد كانت وسيلة وأداة أساسية لمواجهة السياسة الاستعمارية، يشرف عليها المفكرون والعلماء ويتراوح عدد التلاميذ فيها بين 20و30 تلميذا[9]،ويَدرسُ فيها الطلبة على الحصير ويكتبون على الألواح التي غالبا ما تكون أيضا من الوقف،

ويتم والوقف عليها من جميع أطياف المجتمع من السكان، وحتى الطبقة الحاكمة والجنود سواء بالمال أو بأراضي تنشأ عليها الكتاتيب، فقد أنشأ الحاج مصطفى بول كباش مكتبا خصصه لتعليم القرآن، وقام إبراهيم باشا بتوسيعه من بعده[10].

وقد عمل الاحتلال الفرنسي على القضاء عليها ومحاربتها بغلق هذه الكتاتيب بحجة أنها لا تمتلك رخصة مزاولة نشاطها التعليمي، وبمعاقبة المشرفين عليها ونفيهم للخارج.

3.2 الزوايا (الرباطات) :

كان أول ظهور للرباطات في المشرق بحيث كانت تتخذ لاستراحة الجيوش على شكل ثكنات عسكرية، ثم أصبحت مركزا لنشر العلوم والتعليم والتعلم لأنها جمعت بين دوري المسجد والمدرسة، كان لها دور كبير فترة الدولة العثمانية في نشر العلم والمعرفة والوعي الديني، ثم بدأ مصطلح الرباطات يختفي شيئا فشيئا إلى أن ظهر مكانه مصطلح الزوايا التي كانت تمثل الجانب الديني للسكان لذا تنافسوا على الإنفاق عليها، وظهرت الزوايا الخاصة التي أنشأها شيوخ وتكفلوا بالإنفاق عليها وسميت على أسمائهم كزاوية الشيخ بوعمامة سنة 1885م وغلب على معظم هذه الزوايا التصوف[11].

وتضم الزوايا غرف لتعليم الأطفال وأخرى للإقامة، ومخازن لتخزين الطعام، مقرا لإلقاء الدروس، ومكان لإقامتهم كما هو مطبق حاليا الإقامة الداخلية، حتى يتفرغ الطالب للدراسة فقط، يقيم بها الطلبة خاصة القادمين من المناطق المجاورة وتوفر لهم كل اللوازم الضرورية للإقامة، ويتناولون فيها العلوم المختلفة منها الدينية، كما تضم نفائس الكتب فقد كانت مخازن لحفظ المخطوطات القديمة، وعملت الدولة العثمانية على إنشائها ووقف الأموال عليها، ففي الجنوب لا تخلو عشيرة منها وحتى البدو الرحل كانت لهم زوايا متنقلة معهم تحط أين ما حطوا، ولم يقتصر دور الزوايا على المناطق الريفية فقط التي يكون الوقف عليها قليل ويتمثل في الأراضي وما تنتجه يغطي احتياجاتها[12]، بل كان لها نشاط حتى في المدن والتي تكون غنية من حيث الوقف عليها[13]، ففي مدينة قسنطينة نجد حوالي 16 زاوية، وفي تلمسان ما يزيد عن 30 زاوية ومنطقة القبائل تزيد عن 50 زاوية، على سبيل المثال زاوية كرزاز[14] التي

تم وقف: 2270 رأس من الغنم، و393 عنزة، و340 جملا، و19حصانا، و396 زنجيا ذكورا وإناثا، و810 نخلة و8 بنادق[15].

وفي الجزائر العاصمة نجد زاوية عبد الرحمن الثعالبي التي استفادت من 82 وقفا، وقيل69وقف بدخل سنوي 6000 فرنك[16]، تنفق على القائمين على الضريح ويوزع قسم منها على فقراء المدينة كل يوم خميس بنسبة فرنك، إلى ثلاث فرنكات لكل فرد[17]، وكمثال على هذا الوقف نجد وقف على ضريح سيدي عمر التنسي الذي شملت مؤسسته ثلاثين (30) عقارا منها9 بيوت، و14 حانوتا، ومخزنين و03 أفران[18].

حتى الأجانب من الأندلسيين فقد اشتروا دار ثم حولوها إلى زاوية لتعليم القرآن والصلاة، وعينوا لها وكيل يشرف على الأوقاف التي حُبست عليها، وكُتب عقد يُبين كيفية صرف الأموال الموقوفة عليها فكانت موزعة كالتالي: المدرس دينار كل شهر، الإمام دينار سلطاني، قُراء الأحزاب ريال كل شهر، قيّم الإصلاح ريال كل شهر، الطلبة الساكنين في الزاوية نصف ريال كل شهر، ثم اشترط الواقف في الأخير أن الفائض من التسديد يوجه لشراء مقر آخر ليوقف على ما ذكر[19].

وبالتالي استفادت الزوايا من نوعين من الوقف، الأول يتمثل في المواد الغذائية والحيوانات والأغطية والأفرشة التي يقدمها المحسنين والتي تغطي احتياجاتها بالإضافة ما يحضره الناس الذين يتبركون به عند زيارتهم للزاوية، والمسافرون الذين يتوقفون بها للاستراحة، والثاني الأموال والبيوت وقطع الأراضي التي غالبا ما يقوم الطلبة في العمل فيها بالإضافة للحقول والمزارع وما تجنيه هذه العقارات والحقول يوجه للزاوية وما يقدمه من تبرعات من عامة الناس أو الأغنياء والأمراء والحكام.

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر أدرك الحاكم العام كامبون[20] الدور الكبير الذي تتربع عليه الزوايا في توعية الناس واحتضانها للمقاومة الشعبية التي أرهقت فرنسا، لذا حاول التقرب من شيوخ الزوايا وكسب مودتهم فقد استضاف كامبون شيخ زاوية طيبية مولاي عبد السلام وابنه مولاي العربي، وقام بالتحالف مع المنشقين من زاوية سيدي الشيخ، ونوّه بالطريقة التيجانية[21] بمناسبة تشييع جنازة شيخها

أحمد التيجاني، كما أصدر كامبون عدة تعليمات من بينها التي تحذر من دور الزوايا والطرق الصوفية، وعمل على مراقبة علاقاتها الخارجية للحد من نشاطها[22]، وفي نفس الوقت سعى لنشر الفتنة والخلاف والشقاق داخل الزوايا، وبموازاة لسياسة التقرب التي اتبعتها فرنسا انتهجت بالمقابل سياسة القمع فقد تعرضت ومعظم هذه الزوايا للغلق من طرف السلطات الاستعمارية، بدعوى أنها لا تملك رخصة لمزاولة نشاطها من جهة ومن جهة أخرى صادرت كل الأوقاف التي كانت تنفق عليها[23]، فقد كانت فرنسا منزعجة من الأموال التي كان يرسلها مريدوا الطريقة القادرية إلى الشيخ المرتضى في بيروت والزاوية الأم في بغداد[24]، وعليه أصدر كلوزيل مرسوم 1 أكتوبر 1844م[25] الذي يقضي برفع الحصانة على الأحباس واعتبارها مندمجة مع قانون المعاملات العقارية، هذه الأوقاف يقومون بمراقبة عملها، لكن تناقصت مداخيل هذه الأوقاف شيئا فشيء بسبب نهب الوكلاء لأموال الوقف، فقامت فرنسا بإلغاء نظام الوكلاء وأدخلت الأوقاف ضمن أملاك الدولة[26]، وأما الزوايا التي تزعمت المقاومة الشعبية فقد قامت بمحاصرتها وتضييق الخناق عليها للتقليل من نشاطها.

4.2 المدارس:

ساهم العديد من العثمانيين في بناء المدارس عبر التراب الجزائري وهو ما قام به الباي محمد بن عثمان فقد قام بتشيد المدارس في مدن وأرياف الغرب الجزائري[27]، بحيث ساهمت بدورها في القضاء على الأمية والجهل بين أطراف الشعب، فقد ذكرت ايفون توران (yvonne Turin) صاحبة كتاب مجابهات ثقافية: "إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية الكتاب وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم[28]، وما ساعدها للقيام بواجبها على أكمل وجه الأموال التي أُوقفت عليها، وشملت هذه المدارس مختلف العلوم الدينية وغير الدينية[29]، وكان التعليم في المدارس يكمل بعضه ببعض بحيث، يتعلم الكتابة والقراءة ويحفظ بعض المتون الضرورية في المرحلة الابتدائية، وينتقل إلى الثانوي فيواصل المطالعة والفقه والتوحيد ويتعلم النحو والصرف وأوليات التفسير، أما الدراسات العليا فتشمل أصول الدين والفقه والتوحيد[30].

ومن أهم هذه المدارس مدرسة الأندلسيين، وقد كان الوقف المخصص لها يغطي احتيجاتها، بحيث كانت تدرس فيها علوم القرآن والحديث، فقد أتقن الأندلسيون فن التدريس، ومدرسة شيخ البلاد في العاصمة تعود لمؤسسها محمد خوجة أحد كتاب القصر وبها غرف لإقامة الطلبة، ومسجد لإقامة الصلاة ويشترط في الأستاذ أن يكون ماهرا في العلوم النظرية والعلمية، أما في الشرق فقد كانت مدرسة الكتانية لها نظام داخلي، ولها أوقات محددة للحضور وشروط للإقامة[31].

بالإضافة لمدرسة مازونة[32] التي دُرست بها الحديث وعلوم القرآن بالإضافة للحساب والقواعد وعلم الفلك، والخنقة التي تنسب لصاحبها أحمد بن ناصر لذا تسمى بالناصرية، يقصدها طلبة واد سوف والزيبان والأوراس وقسنطينة، فقد زارها الأستاذ أبو القاسم سعد الله ووجدها مازالت قائمة تحوي خمسة عشر غرفة تضم كل غرفة خمسة إلى عشرة طالب[33]، أما الشرق الجزائري كان بقسنطينة 7مدارس بمجموع 600 إلى 700 طالب[34] سواء بالمدن أو الأرياف بالإضافة لمنحة سنوية تقدر 36فرنك[35]، ومدرسة عين ماضي التي كانت حكرا على طلبة العلم الرجال منهم دون النساء، يتكفل المدرس بوضع برنامج التدريس وأوقاته ويوجههم، ويجب عليهم الإطلاع عليها بحيث يكلف المتعلم بقراءة الجزء المطلوب ويتكلف هو بالشرح وهي الطريقة البدائية المعتمدة قديما[36]، أما في الجزائر العاصمة فقد اختلفت الآراء حول عدد مدارسها فقد قيل أنها كانت تضم 229 مدرسة ب5583تلميذ[37].

ولم يتوقف تمويل المدارس بوقف الأموال فقط فقد تعدى إلى وقف الأراضي من أجل بنائها، وهو ما قام به محمد خوجة كاتب قصر الباشا أواخر القرن الثامن عشر من بناء مدرسة بها غرف لطلبة العلم ومسجدا لإقامة الصلاة، وحفر لهم أيضا بئر للشرب والتطهر، كما خصص لهم مبلغا من المال لصالح الأستاذ الذي أشترط فيه أن يكون ماهرا في العلوم النظرية والعلمية[38].

كما كانت بعض المدارس ملاصقة للمساجد وذلك راجع لدورها في تعليم القرآن لذا نجد الوقف الذي يتم على المساجد فتستفيد هي أيضا من مصاريف الوقف وعمليات الترميم وتوصيل المياه، ومن

بين هذه المدارس اشتهرت مدرسة الكتاينة في الشرق الجزائري لما كان من نظام خاص وراقي، فقد كان لها نظام داخلي صارم من ناحية الحضور وشروط الإقامة بها[39].

لكن للأسف الشديد بعد الاحتلال الفرنسي سعت فرنسا للقضاء على المدارس ودروها الذي اضطلعت به في محو الأمية ونشر العلوم الدينية خاصة التي كانت عقبة في طريق فرنسا، فاستولت على الأوقاف التي أوقفت عليها ونفت العلماء داخل وخارج البلاد، وسنَّت قانونا يمنع التنقل لطلب العلم، وجاء في أحد التقارير الفرنسية: "للجنة القروض الاستثنائية سنة 1847م: " لقد تركنا المدارس تسقط وشتتناها، لقد أطفأت الأنوار من حَولِنا، أي أننا حوّلنَا المجتمع المسلم إلى مجتمع أكثر جهلا وبربرية مما كان عليه قبل معرفتها[40].

عمدت فرنسا لمنع تعليم القرآن وتعليم اللغة العربية في المدن الكبرى، ومع تهديم المدارس تضائل عدد المدارس وانعدم في بعض المناطق، أما المدارس التي لم تهدم فقد مُنعت من فتح أبوابها فترة تدريس الدرس الفرنسي حتى لا يتهاتف عليها الطلبة، مما دفع بالمعلمين للتعاقد مع الدوار أو القبيلة لتتكلف بدفع أجرة تعليمهم، ثم لتسد الفراغ فتحت فرنسا مدارس مختلطة في سنة 1870م، وأصبحت هناك 36 مدرسة ابتدائية عربية فرنسية ب1300تلميذ، ثم أصدرت قرار يقضي بتدريس الفرنسية بجانب العربية في 1883/02/12م، وعرقلت تدريس العربية محتجة بعدم وجود العدد الكافي من المعلمين باللغة العربية[41]، وفي الأخير أصدرت قرار بتاريخ 1892/10/18م يقضي بعدم فتح أي مدرسة عربية بحجة عدم وجود رخصة لمزاولة نشاطها التعليمي[42]ولتسليم هذه الرخصة وضعت عدة شروط تعجيزية[43].

5.2 أسماء بعض المدارس التي هدمها الاستعمار الفرنسي[44]:

اسم المدرسة	مقرها	تاريخ هدمها
مدرسة تابعة لجامعة صباط الحوت	جامع البطحاء (شارع القناصل)	1854م
مدرسة جامع السلطان	مدرسة جامع السلطان	1838م
مدرسة جامع خير الدين	جامع الشواش قرب مدخل الجنينة	1831م
مدرسة جامع ستي مريم	جامع ابن نيقرو	1838م
مدرسة جامع الشيخ الثعالبي (ليست الزاوية الحالية)	شارع لاشارت	1859م
جامع مدرسة فرن ابن شاكر	شارع طولون	أصبح ثكنة ثم مدرسة للبنات

وقد صرح الدوق دومال في تقرير أرسله لحكومة باريس: " قد كنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها لدكاكين وثكنات ومرابط للخيل[45].

6.2 المكتبات:

عرفت الجزائر منذ القدم المكتبات خاصة بعد الفتح الإسلامي للمغرب حيث تنوعت الكتب الدينية من قرآن وتفسير وحديث، بالإضافة لكتب الأندلسيين الذين قدِموا للجزائر لذا كان من الضروري حفظها في المكتبات، لذا من الطبيعي أن نجد فترة الدولة العثمانية العديد من المكتبات التي تحوي الكتب والمخطوطات الثمينة.

تحدث في كتابه عن المؤسسات (Devoulx) وقد ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن الكاتب دوفولكس الدينية في الجزائر فقال :"بعد مهاجمة الأسطول الانجليزي للجزائر تسبب في حدوث تشققات للمسجد المالكي فخشي المسؤولين ضياع الكتب التي كانت في الخزانة فتم نقلها إلى برج موسى ودام نقلها ثلاثة أيام"[46]، وهذا دليل واضح أن الخزانة كانت تحمل عدد كبير من الكتب.

ومن خلال بحثنا لاحظنا وجود المكتبات العامة التي تكون وقفًا وحبسًا على المساجد والزوايا والمدارس، وتكون موزعة على مستوى التراب الوطني حسب أهمية المنطقة لذا كانت متواجدة في كل من تلمسان، قسنطينة، مازونة، الجزائر العاصمة وغيرها[47]، وقد ذكر بول قافاريل (Poul Gaffrel): " .....وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أَنَّى وُجدت، وكانت تغص بالطلبة يغترفون من 25 مدرسة العلوم المختلفة...." وأشهرها مكتبة الجامع الكبير بالجزائر العاصمة ومكتبة الكتانية بقسنطينة[48]، يلجأ إليها طلبة العلم والأساتذة للمطالعة، بالإضافة للمكتبات العامة توجد المكتبات الخاصة التي تحوي نفائس الكتب والمخطوطات للعلماء والأعيان والعائلات المشهورة، فلم يكن شراء الكتب غالبا للثقافة والتعلم وإنما لمباهاة والإكثار من جمعها، وقد وجدت فرنسا بعد دخولها قسنطينة حوالي 17مكتبة خاصة تحتوي 14000مجلد"[49]

أما كيفية الوقف في هذه المكتبات يتم من خلال وقف المؤلفين لكتبهم على طلبة العلم فقط، ولا تباع ولا تخرج من أماكن التعليم لتكون مجانية، ويكتب تاريخ الوقف بخط يد الشخص الواقف، وفي ما يخص المساجد فيتم وقف الكتب الفقهية والحديثية والمصاحف وتفاسير القرآن وكتب التوحيد وغيرها[50]، ويطلب من الطلبة قراءة ورد منها في الصباح أو المساء ويدفع له نضير قراءتها مبلغ، ولم يقتصر وقف الكتب على العلماء والمؤلفين بل كان العامة من الناس يوقفون الكتب لنيل الأجر من الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأحيان يكونون جاهلين حتى لمحتوى الكتب الموقوفة بنية التقرب لله فقط، ومعظمها تكون دينية في التفسير والحديث والمصحف الشريف[51].

وقد ترك ناظر الاحباس وثيقة تبين نوع الكتب الموقوفة وكيفية الاستفادة منها وكيف أن هذه الكتب كانت مرتبطة بالمساجد، فقد وقف الحاج إبراهيم الأندلسي نسخة صحيح الشيخ البخاري، ووقف المرحوم حفيد سيدي الخروبي في عشرين سفر مكتوبة في مخطوط، وأخرى نسخة لصحيح البخاري، ومحمد الصباغ ترك في شرح الإمام العيني، والشيخ محمد بن سلمون ترك للصحيح البخاري

ثلاثة أسفار، أما الإمام القسطلاني فقد ترك أيضا صحيح البخاري، على أن يكون الوقف لذرية إمام الجامع أو غيرهم[52].

ولم يقتصر وقف الكتب على العلماء وعامة الناس بل تعداه للطبقة الحاكمة فقد اهتم الباي محمد بن عثمان الذي كان حاكما بالغرب الجزائري بتزويد المساجد بالكتب وشجع العلماء على التأليف، ومن شدة حبه للعلم كان يشتري الكتب بأثمان غالية ويقوم بطبع نسخ عليها[53] ليتم توزيعها على نطاق أوسع.

لكن دوام الحال من المحال فبعد الاحتلال الفرنسي وأثناء التوسع الاستعماري في المدن الجزائرية، قام الضباط الفرنسيين ورجال الدين المسيحيين بالاستيلاء على التراث الثقافي العربي الإسلامي، فنهبوا العديد من المكتبات وأحرقوا العديد من الكتب، وبعثروا أوراقها واستولوا على الكتب التي كانت ضمن أوقاف المساجد طبعا نفس الشيء حلَّ بكتب الزوايا، كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر سنة1847م، بعد اكتشاف عاصمته المتنقلة الزمالة يقول المؤرخون:" أن الأمير أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء والتي انتزعها الجنود الفرنسيين من الكتب التي عانى الكثير في جمعها"[54] وما بقي منها موجود في مكتبة شانتييه أهداه الدوق ديمال إلى بلدية هذه المكتبة .

وسعى الكثير من المثقفين الفرنسيين والجنود وحتى الهواة إلى جمع مختلف المخطوطات والكتب المتواجدة عبر التراب الوطني وذلك لدراستها أو بيعها لدور المخطوطات سواء الفرنسية أو الأوروبية[55]، مما دفع بالسكان إلى دفن كتبهم والمخطوطات الثمينة وتهريبها خوفا من استيلاء العدو عليها وكثيرا ما نسي الناس مكان دفنها[56].

ولم يسلم العلماء والمدرسين من السياسة الاستعمارية، فقد عمد إلى نفي العلماء فقد قام دي ورفيقو[57] بنفي حمدان خوجة[58] إلى فرنسا ومنها إلى تركيا وذلك سنة 1836م، كما قام بيجو بنفي

الكبابطي[59] سنة 1843م إلى جزيرة سانت بالإضافة لبعض الضباط والعلماء والقضاة الذين ذهبوا إلى المغرب الأقصى وتونس حاملين معهم كتبهم وأدواتهم وذكرياتهم[60].

3. خاتمة:

في الأخير يمكننا القول بأن فرنسا سعت للقضاء على المراكز التعليمية والثقافية في الجزائر من مدارس وكتاتيب، بعد أن خططت تخطيطا محكما لذلك، استولت فيه على ثروات الوقف ولا نبالغ إذا قلنا ثروات لأنها بالفعل ثروة تعادل ما تحصلت عليه من أموال على إثر الاحتلال من خلال إصدار قوانين تمكنها من ذلك، ولم تكتف بذلك فقد استولت على الأوقاف الموجهة للمدارس والزوايا وغيرت بعض هذه المراكز عن دورها التعليمي، ثم توجهت نحو الكتب والمخطوطات فنهبت وحرقت واستولت وهَرَّبت ما أمكنها لذلك، ليأتي الدور على العلماء الذين أصدرت في حقهم مراسيم النفي إلى خارج الجزائر، وبقيت فرنسا على مدى السنين تحارب التعليم في الجزائر وبالمقابل شجعت على التعليم الفرنسي حتى يعمم عبّر التراب الوطني، بذلك تكون فرنسا قد طبقت مخططاتها للقضاء على الإسلام واللغة العربية ونشر الجهل والأمية بين أطراف الشعب.

4. الهوامش :

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص248.

[2]– ريمة مجناح، نور الهدى زعيتر، الوقف الجزائري في العهد العثماني وفي العهد الفرنسي (مذكرة ماستر)، محمد بوضياف، المسيلة، 2019،2020، ص39.

– ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أواخر العهد العثماني، 1981، [3]ص93

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص293.

[5]– يقضي هذا المرسوم على ضم أموال الوقف إلى أموال الدولة ، وتم تطبيق هذا المرسوم على عنابة ووهران فقط.

[6]– زكية منزل غرابة، دور الوقف في نشر العلم خلال التواجد العثماني، شلغوم العيد، 2011، ص6.

[7] – بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة: حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للعلوم الإنسانية، 2008، ص137.

[8]– يحي بوعزيز، المؤسسات الدينية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد4، العدد7، جامعة وهران، 2005، ص46.

[9] – نفسه ص 47.

[10] – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 269، ص 270.

[11]– بنيت بعض هذه الزوايا على أضرحة مؤسسيها أو شيوخها لكن الناس بعد فترة من الزمن اتخذت مزارات وتتبرك بها حتى خرجت عن الغرض التي أسست من أجله وأصبحت من مظاهر الشرك بالله لأن الناس تقدم ما يعرف بالزيارة وتدعو الشيخ أن يحقق لها ما ترغب به، وهذا متواجد عبر التراب الوطني خاصة نجها في الغرب الجزائري مثلا مدينة مستغانم يلاحظ زائرها انتشار الأضرحة بكثرة ولها مكانة خاصة لدى سكانها.

– عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، [12]د.ت، ص22.

[13]– أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج 1، ص 163، ص182، ص183.

[14]– كرزاز: بلدية تابعة لولاية بشار، تبعد عن مقر الولاية ب340كلم وهي إحدى الواحات المنتشرة على جنبات وادي الساورة بها زاوية كرزاز من فروع الطريقة الشاذلية، مؤسسها أبو العباس أحمد بن موسى، (2023/11/18، 1ساو39د) الجزائر-- ولاية بشار -- كرزاز. ardb-city.com

[15] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 115.

[16]– ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 70.

[17]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ص 135.

[18] – سمية جفار، المرجع السابق ،ص24 .

[19] – صبرينة لنوار، مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 3، العدد 2، البليدة، جوان 2021، ص10.

[20] – جول مارتن كامبون: jules cambon ولد في 5 أفريل 1845م، مارس مهنة المحاماة ثم عين حاكمًا عامًا للجزائر من 1891إلى غاية 1897م، خلفا لتيرمان بمرسوم من رئيس الجمهورية الفرنسية، توفي في 19سبتمبر 1935م، وليد بوشو، الحكومة العامة وتطورها ضمن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من 1830إلى 1939م، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد5، العدد2، 2021، ص645.

[21]– التيجانية: تنسب الطريقة التيجانية لصاحبها أحمد التيجاني الذي ولد سنة 1737م، توفي سنة 1814م ودفن بفاس بالمغرب الأقصى، وكان الناس يعتقدون في نفع وضر الشيخ، عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص102.

[22] – بوتدارة عبد الجبار– أنزقلوف عبد الرحمن، السياسة التعليمية الفرنسية 1830– 1914م، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020–2021، ص33.

[23] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 115.

[24]– عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 102.

[25] حازم صليحة، نظام الولاية على الأملاك الوقفية في ظل التشريع الجزائري، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010، 2011، ص38.

– نادية إبراهيمي، الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص23.

[26]

[27] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519–1830م) رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005–2006، ص338.، ص336.

– رشيدة شدري معمر، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518–1830م، مجلة معارف، المجلد 11، عدد 20[28]، 2016، ص92.

[29]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 99.

[30] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص23

[31] – زكية مندل، المرجع السابق، ص 36.

[32] – مدرسة مازونة: كانت هذه المدرسة فقهية نالت شهرة كبيرة تأسست سنة 565هـ على يد منديل أمير مغراوة الذي قتل أثناء هجوم بني غانية على بجاية سنة 581هـ، بحيث التحق بها الطلبة من فاس ، وبقيت بيوت إقامتهم حتى بعد الاحتلال الفرنسي، وانتهى دورها التعليمي سنة 1939م في بداية الحرب العالمية الثانية، انظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ ، ص188.

[33] – عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص48.

[34] –بوتدارة عبد الجبار– انزقلوف عبد الرحمن، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر1830-1914م (شهادة ماستر)، 2020-2021، ص8.

[35] – سعدية سرقين، المرجع السابق، ص304.

[36] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص192.

[37]– بوشحدان هاجر، جميلي شيماء، تعليم الأهالي وتأثيراته على المجتمع الجزائري (مذكرة ماستر)، 2017-2018، جامعة 8ماي1945، قالمة، ص 18.

[38] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269.

[39]– زكية منزل غرابة، المرجع السابق،ص 36.

[40] – بن ترزي خير الدين، التعليم في الجزائر خلال فترة الاحتلال(1830-1900م)، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 4، العدد7، 2013، ص106.

[41]– يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1854م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر،1983، ص43.

[42] – بن ترزي خير الدين، المرجع السابق، ص 106.

[43]– من بين الشروط التي وضعتها السلطة الفرنسية لمزاولة نشاط التعليم منها التعرف على صاحب الطلب ومعرفة كل يتعلق بحياته الشخصية والسياسية، قبول عدد محدود من التلاميذ بحيث لم يرتد من أبناء سوى 1.9%من مجموع الأطفال من هم في سن التمدرس، نفسه، ص 107.

[44]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص38.

– عثماني شهرزاد ، زياية ليلى، الأوضاع الثقافية في الجزائر من 1830-1870 ، رسالة ماستر، جامعة 8ماي [45]قالمة، 2022-2023، ص37.

[46] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص163.

– محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في دولة البكشدية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، والإشهار الجزائر، 1981، ص61. [47]ط2، الشركة الوطنية للنشر ،

[48] – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 296.

[49] -Poul Gaffarel, L'Algérie Histoire conquête et colonisation, biblioth de palis des arts, paris, p:123.

[50] – بطة سهام، دريد علجية المكتبات والمساجد في الجزائر ودورها الثقافي خلال العهد العثماني، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022، ص20.

[51] – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 287.

– أحلام نعيمي، دور المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية (مذكرة ماستر)، محمد خيضر، بسكرة، [52]2013/2012، ص69.

[53] – نفسه ، ص69.

[54] – كان ديمال هو القائد الفرنسي الذي هاجم دولة الأمير عبد القادر المتنقلة(الزمالة) ومن بين الأشياء التي استولى عليها مكتبة الأمير عبد القادر لكن من المفروض أن الزمالة كانت تحمل عدة مكاتب خاصة لمن كانوا يرافقون الأمير وهذه الأخيرة لم يعثر عليها ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر الدولة العثمانية 1830-1914، ص 33.

[55] – نجاة بية، مقياس تاريخ الجزائر 1830-1914م (تخصص سنة 3ثانوي)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2020-2021م، ص115.

[56] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص326.

[57] – صفاري دي روفيقو : قائد عسكري فرنسي ساهم في احتلال الجزائر وقام بعدة مجازر ضد الجزائريين.

[58] – حمدان بن عثمان خوجة: ولد بالجزائر سنة 1775م نشأ وتعلم بها على يد أبيه ثم انتقل إلى تركيا ،ومنها انتقل لفرنسا ودرس بها وتعلم الفرنسية، ثم عاد للجزائر، وبعد معاهدة الاستسلام لاحظ عدم وفاء الفرنسيين بشروط معاهدة الاستسلام فقاوم الاستعمار الفرنسي بلسانه وقلمه، مما دفع بالاستعمار الفرنسي لنفيه خارج الوطن، حي تابع التأليف الكتابة إلى أن توفي سنة 1845م، من أشهر ما كتب المرآة.عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 2011، ص 136، ص137.

– الكبابطي: مصطفى بن محمد بن عبد الرحمن الكابطي، ينحدر من عائلة أندلسية ولد سنة 1775م بالجزائر، القرآنية ثم التحق بحلقات الدرس في المساجد، درس بجامع القرويين، تول [59]تلقى تدريسه في الزوايا والمساجد التدريس في الجامع الأعظم سنة 1812م، ثم تول القضاء بالمذهب المالكي سنة 1827م، ثم تولة مهمة الإفتاء سنة 1843م، وبسبب مراسيم فرنسا للاستيلاء على الأوقاف عارض الكبابطي هذه القارت بشدة ، ما دفع

بالسلطات الفرنسية لعزله ثم نفيه حتى يكون عبرة لكل من يعارض السلطة الفرنسية، قن محمد، القاضي ومفتي المالكية مصطفى بن الكبابطي وموقفه من بعض قضايا عصره، مجلة البحوث التاريخية، مجلد 6، العدد 2، جامعة زيان عاشور، الجلفة ، ديسمبر 2022، ص 546، ص547.

60- نفسه، ص 329.

5. المصادر و المراجع:

- نادية إبراهيمي ،(2021-2022م) الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

- سهام بطة ،(2021- 2022م) دريد علجية، المكتبات والمساجد في الجزائر ودورها الثقافي خلال العهد العثماني،(مذكرة ماستر) جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

- خير الدين بن ترزي ، (2013م)التعليم في الجزائر خلال فترة الاحتلال(1830-1900م)، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 4، العدد7، الجزائر.

-محمد بن ميمون محمد ، التحفة المرضية في دولة البكشدية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص61.

-عبد الجبار بوتدارة– عبد الرحمن انزقلوف ، (2020-2021م)السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر1830-1914م (مذكرة ماستر)، الجزائر .

-هاجر بوشحدان ، شيماء جميلي،(2017-2018م) تعليم الأهالي وتأثيراته على المجتمع الجزائري (مذكرة ماستر)، جامعة 8ماي1945، قالمة.

-وليد بوشو، (2021م)الحكومة العامة وتطورها ضمن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من 1830إلى 1939م، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد5، العدد،2 الجزائر .

-يحي بوعزيز،(2005م) المؤسسات الدينية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد4، العدد7، جامعة وهران.

-يحي بوعزيز ، (1983م)سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1854م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.

-نجاة بية، (2020-2021م)مقياس تاريخ الجزائر 1830-1914م (تخصص سنة 3ثانوي)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة.

-صبيحة بخوش، (2008م)وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة: حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للعلوم الإنسانية، الجزائر.

-رابح تركي ، (1984م)الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-صليحة حازم، (2010-2011م)نظام الولاية على الأملاك الوقفية في ظل التشريع الجزائري، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر..

- رشيدة شدري معمر، (2016م)المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، مجلة معارف، المجلد 11، عدد 20.

-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب.

-عبد الكريم شباب،(2022م) الأمير عبد القادر وزوايا الجزائر خلال القرن التاسع عشر جهادا دفاعا عن السيادة الوطنية، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 14، عدد1، الجزائر.

-محمد قن، (ديسمبر 2022م)القاضي ومفتي المالكية مصطفى بن الكبابطي وموقفه من بعض قضايا عصره، مجلة البحوث التاريخية، مجلد 6، العدد 2، جامعة زيان عاشور، الجلفة.

-صبرينة لنوار، (2021م) مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 3، العدد 2، البليدة.

-ريمة مجناح ، (2019-2020م)نور الهدى زعيتر، الوقف الجزائري في العهد العثماني وفي العهد الفرنسي (مذكرة ماستر)، محمد بوضياف، المسيلة.

-زكية منزل غرابة، دور الوقف في نشر العلم خلال تواجد العثماني، شلغوم العيد ، 2011.

-أحلام نعيمي، (2012-2013م)دور المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية (مذكرة ماستر)، محمد خيضر، بسكرة.

-عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 2011م.

-آمنة زهير – وردة عزري، (2021-2022م)الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني (عهد الدايات 1671-1830م) (مذكرة ماستر) ، جامعة المسيلة.

-أرزقي شويتام، أرزقي شويتام، (2005-2006 م) المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م) رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر.

biblioth de , L'Algérie Histoire conquête et colonisation,Poul Gaffarel 123: p, paris,palis des arts